

## اشمعى

د. محمد سامح سعيد

أستاذ بكلية الهندسة - جامعة القاهرة

=====

أحمد الله أنى لا أشتغل بالسياسة ولا تستهوينى دروبها . فالعلم هو غاية اهتمامى ومجال فهى . والعلم ليس فيه التواء ولا معانى مغلقة ولا معايير مزدوجة . ويبدو لى أن السياسة ليس لها قواعد ولا معايير سوى المصلحة والأهواء . فما معنى أن ترى أمريكا زعيمة الديمقراطية فى العالم وداعية حقوق الإنسان وأستاذة الحرية التى تريد أن تنتشر الديمقراطية والحرية فى الشرق الأوسط أن تحاصر حكومة حماس المنتخبة ديموقراطيا بإشراف دولى وتعمل على إسقاطها بعد تجويع شعب فلسطين لتظهر أمامهم حكومتهم الشرعية عاجزة فاقدة القدرة . وفى نفس الوقت تعتبر حكومة السنيورة شرعية . والذى يمزق لبنان الآن يعود إلى أمريكا التى دعمت إسرائيل فى هجومها على لبنان وما أدت إليه من فرقة الصف اللبناني لصالح أمريكا وإسرائيل . ما معنى أن تقاوم أمريكا التعبير الحر للمعارضة اللبنانية وتعتبره عملا مناهضا للحرية وتتهمه بأنه من إيعاز إيران وسوريا بينما حكومة لبنان التى تتلقى الدعم والتأييد من الغرب وتستقوى بالإيعاز الأمريكى الفرنسى الإسرائيلى . هل انحصر الخيار الآن بين محور إيران وسوريا أو محور أمريكا وإسرائيل ؟ ما معنى أن تؤيد أمريكا انهيار حكومة عمر كرامى بضغط الشارع وترفض الآن ضغط الشارع على فؤاد السنيورة . إذا حدث نزاع فلسطينى فلسطينى فأمرىكا تؤيد انتخابات مبكرة بعد أن أظهرت حكومة حماس أنها عاجزة أن تدفع رواتب موظفيها . وإذا حدث نزاع لبنانى لبنانى فأمرىكا لا تريد الاحتكام إلى الشعب اللبنانى فى انتخابات مبكرة تخشى أن تسقط السنيورة وفريقه . اشمعى ؟ ما معنى أن تؤيد أمريكا الحركة الشعبية فى روسيا وبولندا وتشيكوسلوفاكيا ورومانيا والمجر وجورجيا وأوكرانيا وكل مكان إلا لبنان ؟ ما معنى أن تتدخل أمريكا فى شئون لبنان الداخلية وتحذر سوريا وإيران من التدخل ؟ ما معنى أن تؤيد أمريكا الشيعة فى العراق لأنهم مهادنون وتعادى السنة فيه بينما تؤيد أمريكا السنة فى لبنان وتعادى الشيعة المناوئين ؟ إذا قتل فلسطينيون إسرائيليا قامت القيامة . وإذا دمر الإسرائيليون البيوت على أصحابها الفلسطينيين وقتلوا الأطفال الأبرياء فهو دفاع عن النفس ! ما معنى أن تحرم على إيران أو أى دولة إسلامية امتلاك تكنولوجيا نووية بينما تدخل إسرائيل فى نعيم الحماية النووية الداخلية والخارجية ؟ ما معنى أن تتادى أمريكا بحقوق الإنسان وترتكب أعمال التعذيب والشذوذ فى سجن أبى غريب وجوانتانامو ؟ لست أفهم هل تريد أمريكا نشر الديمقراطية حقا ؟ وإذا كان ذلك فلماذا لا تحترم إرادة الشعوب ؟ أم هل الديمقراطية تفصيل . فإذا جاءت بغير ما تشتهى انقلبت عليها . لماذا لا تحدد موقفها . هل هى مع الديكتاتوريات أو مع الشعوب ؟ هل هى مع حقوق الإنسان أو مع التعذيب ؟ هل هى مع الحرية أم مع القهر والاحتلال ؟ أمريكا تحتل العراق ثم تحذر جيران العراق من التدخل فى شؤنه الداخلية . أمريكا تفعل ما لا تقول وتقول ما لا تفعل ، وهى تنتشر فكرها التخريبي فى العالم باسم العولمة وهى تقصد الهيمنة . كان هناك وقت كنا ننظر إلى أمريكا على أنها رمز للحرية والديموقراطية ونصرة الضعيف

وخاصةً بعد الحرب العالمية الثانية . فإذا بها تظهر على حقيقتها كورث للاستعمار القديم وما تريد الخير وإنما هي جبار الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين . من يعارضها فهو إرهابي ومن يمالؤها فهو ديموقراطي حر . لقد عشت طويلاً في أمريكا وتعلمت فيها ولكن ما يحدث الآن يجعلني أتساءل كيف فقدت هذه الأمة القوية السيطرة على نفسها وأصبحت أداة طيعة لخدمة الصهيونية العالمية دون اكتراث لمصلحتها الحقيقية . ليس عندي شيء ضد الشعب الأمريكي فقد عشت بينهم وتعلمت وعلمت في جامعاتها وفيهم كثير من البساطة والمودة وحب العلم والمعرفة والعمل الجاد . ولكن المشكلة في الحكومات الأمريكية المتعاقبة والمشكلة سيطرة الحركة الصهيونية على مقدرات ذلك البلد . الشعب الأمريكي لا يعلم أين أفغانستان على خريطة العالم ولا يهمنه من السياسة الخارجية شيء . وليس من المنطق ولا الحكمة مهاجمة هذا الشعب في نيويورك وواشنطن . وإدخال الشعب الأمريكي طرفاً في نزاع لا يعلم عنه ولا عن أسبابه شيئاً . ماذا يعرف ذلك الشعب عن صدام حسين الذي ارتكب جرائمه ضد إيران وضد الأكراد وكان وقتها حليفاً لأمريكا زاره رامسفيلد ودعمه وأيده ثم ماذا حدث انقلبوا عليه . أصبح فجأة عدواً ويجب شنقه . هكذا حكومات أمريكا لا صديق لها ولا حليف . أما أن لنا أن نفهم أنهم لا يمكن أن يكونوا أصدقاء ولا حلفاء لنا ولا حكماً بيننا وبين إسرائيل . ها نحن نودهم ولا يودوننا نحبهم ولا يحبوننا قد بدت العداوة من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر . وما الحل إذاً وهم يسيطرون على العالم ونحن نعتمد عليهم ونأكل من معوناتهم ونضطر أن نجالهم فنسكت على ظلمهم ؟ هناك بديل في وحدتنا على المستويين العربي والإسلامي وفي اعتمادنا على الله ثم على أنفسنا وقدراتنا وعقول أبنائنا . نريد تعاوناً بيننا إن لم تكن وحدة رسمية ، نريد تضامناً وإن لم يكن اندماجاً كاملاً . هناك ماثورة تقول : " معا نحن أقوى " . نريد أن نطبقها . وكم نادى الرئيس مبارك بالسوق العربية المشتركة وبتحقيق التعاون المشترك بين الدول الإسلامية كسبيل لتحقيق القوة الذاتية . ولكن العرب والمسلمين مصررون على التشرذم . كل يمضي في طريق ، يقتلهم الصراع الداخلي . ورغم محاولات راب الصدع اللبناني التي يحاول الرئيس مبارك والجامعة العربية القيام بها إلا أن أيدي أمريكا من وراء الستار تحرك حلفاءها في لبنان تجاهلاً لإرادة قسم كبير من شعبه . وفي النهاية ستتخلى أمريكا عن حلفائها . فأمريكا لا تعرف حلفاء ولا أصدقاء ولا تعرف سوى الهيمنة والقسوة والمعايير المزدوجة . وهنا يسقط سؤال اشمعى ؟ فلا معنى له لأنه لا منطق ولا حق ولا عدل عندهم . هكذا حربهم ضد الإنجليز هي حرب استقلال وحرب اليهود ضد الإنجليز حرب استقلال ومقاومة الفرنسيين ضد الألمان مقاومة مشروعة أما مقاومة الفلسطينيين لسطوة إسرائيل وجبروتها هو إرهاب . وسلاح حزب الله هو عدوان على الشرعية . هذه ليست أمريكا التي عرفتها ولكنها أمريكا المحافظين الجدد أمريكا الإسرائيلية .